وَنَشَرْتُ رَايَاتِ الْمَذَلَّةِ فَوْقَهُمْ
وَقَسَمْتُ سَلْبَهُمُ لِكُلِّ غَضَنْفَرِ (١)
وَرَجَعتُ عَنْهُمْ لَم يكنْ قَصْدي سوَى
ذِكْرٍ يَدُومُ إلى أوَانِ الْمَحْشَرِ (٢)
مَنْ لَمْ يَعِشْ مُتَعَزِّزاً بِسِنَانِهِ
سَيَمُوتُ مَوْتَ الذّلّ بَينَ الْمَعشَرِ (٣)
لا بُدّ لِلْعُمْرِ النّفيسِ مِنَ الفَنَا
فَاصْرِفْ زَمانَكَ في الأعزّ الأفخَرِ (٤)

صرخة عبسيّة

[الكامل]

يا عَبْلَ! خَلّي عنكِ قَوْلَ الْمُفْتَري
وَاصْغي إلى قَوْلِ الْمُحِبّ الْمُخْبِرِ (٥)
وَخُذي كَلاماً صُغْتُهُ من عَسْجَدٍ
وَمَعانياً رَصّعْتُها بالجَوْهَرِ (٦)

= الموت فاستمسك بالفرار تاركاً سلاحه ودرعه في الميدان تخفيفاً لسرعة حركته، وهو لا يلوي على شيء لاجئاً إلى القفار والجبال والوديان.

(١) لقد بدا منظر القوم حزيناً، فبدل أن يرفعوا رايات النصر فقد نشر الشاعر رايات الخزي والهزيمة فوقهم، أما أسلابهم فقد قسمها بين الأبطال الشجعان من بني عبس.

(٢) المحشر: يوم البعث، وعنترة جاهلي لم يعرف القصد من يوم المحشر ممّا يجعل القصيدة منحولة. إن الشاعر لا يهتم بالأسلاب ولم يأخذ منها شيئاً، فهدفه من ذلك الصيت الحسن الخالد خلود الدهر إلى يوم البعث.

(٣)، (٤) غاية الحياة بالنسبة للشاعر حياة عزيزة لا ذلّ فيها، لذا على المرء أن يدفع عنه بسلاحه كلّ أسباب الذلّ وإلّا فإن منيته ستكون شنيعة بين البشر. والموت آت حتماً مهما امتدّ بالمرء العمر، فعلى المرء أن يقضي عمره عزيزاً كريماً.

(٥)، (٦) يخاطب الشاعر عبلة طالباً منها ألّا تسمع لأقوال الوشاة، إنهم يفترون =

كَمْ مَهْمَهٍ قَفْرٍ بِنَفْسِي خُضْتُهُ
وَمَفَاوِزٍ جَاوَزْتُهَا بِالأَبْجَرِ[١]
كَم جَحْفَلٍ مِثْلِ الضَّبابِ هَزمتُه
بِمُهَنَّدٍ مَاضٍ وَرُمْحٍ أَسْمَرِ[٢]
كَمْ فَارِسٍ بَينَ الصَّفُوفِ أَخَذْتُهُ
وَالخَيْلُ تَعْثُرُ بِالقَنَا المُتَكَسِّرِ[٣]
يَا عَبْلَ! دُونَكِ كُلّ حَيٍّ فَاسأَلِي
إِن كَانَ عِنْدَكِ شُبْهَةٌ فِي عَنْتَرِ[٤]
يَا عَبْلَ! هَلْ بُلِّغْتِ يَوْماً أَنَّنِي
وَلّيْتُ مُنْهَزِماً هَزِيمَةَ مُدْبِرِ[٥]
كَم فَارِسٍ غَادَرْتُ يَأكُلُ لَحْمَهُ
ضَارِي الذِّئَابِ وَكَاسِرَاتُ الأَنْسُرِ[٦]

= ويختلقون الأكاذيب، وأن تسمع لقوله، إنه قول محبّ، قول شاعر يصوغ الحروف بخيوط قلبه الذهبية، ويرصّعها بجواهر حكمه وروائع عبقريته.

(١) المهمه: المفازة البعيدة. جاوزتها: اخترقتها. الأبجر: اسم فرسه. يسرد الشاعر مآثره، منها معرفته بالصحراء، فقد اجتاز المهامه الموحشة وحيداً على فرسه الأبجر.

(٢) ولقد قضى على جيش كثير العدد وجيّد العُدد فهزمه ومزّق وحدته بسيفه القاطع ورمحه الأسمر.

(٣) ولقد قتل فرساناً كثيرين، فلم تمنعهم صفوف يقودونها وسط معارك شرسة تزدحم فيها الخيول وتتكسر فيها رماح متلاقية بعنف الموت.

(٤) يطلب الشاعر من عبلة أن تستعلم من الأحياء الذين شاهدوا أو سمعوا عن حسن فعاله لإزالة كلّ شبهة قد علقت بها من لسان حسود أو عاذل.

(٥)، (٦) يسأل الشاعر عبلة هل علمت أنه فرّ من المعركة مؤثراً السلامة على =

أفـرِي الـصّـدُورَ بـكُـلّ طَـعْـنٍ هـائـلٍ
وَالـسّـابـغـاتِ بـكُـلّ ضَـرْبٍ مُـنْـكَـرِ (١)
وَإذا رَكـبـتُ تَـرَى الـجـبـالَ تَـضِـجُّ مـن
رَكـضِ الـخـيـولِ وكـلَّ قُـطـرٍ مُـوعِـرِ (٢)
وَإذا غَـزَوْتُ تَـحـومُ عِـقْـبـانُ الـفَـلا
حَـوْلـي فـتـطـعـمُ كَـبْـدَ كـلِّ غَـضَـنـفَـرِ (٣)
وَلَـكَـمْ خَـطِـفْـتُ مُـدَرَّعـاً مـن سـرْجـهِ
فـي الـحَـرْبِ وَهْـوَ بـنَـفـسِـهِ لـمْ يَـشْـعُـرِ (٤)
وَلَـكـمْ وَرَدْتُ الـمَـوْتَ أعْـظـمَ مَـوْرِدٍ
وَصَـدرْتُ عـنـه فـكـانَ أعـظـمَ مَـصْـدَرِ (٥)

= الاستبسال في وسط المعركة، والحقيقة أنه صرع كثيراً من الفرسان وتركهم جزر السباع تأكل لحومهم، والذئاب الضارية والنسور الكاسرة لا تبقي فيهم شيئاً.

(١) أفري: أمزّق وأفرّق. السابغات: الدروع الطويلة الفضفاضة. لقد مزّق الشاعر صدور الفرسان بضرباته القاتلة العظيمة، حتى الدروع التي تحميهم تمكن منها بضرباته لا مانع فيها.

(٢) وفي حال امتطى الشاعر فرسه؛ إذا بالجبال تهتزّ لكثرة الخيول التي تجول فيها والأقطار الموحشة المرعبة التي يعبرها ويغزوها.

(٣)، (٤) وهو في غزوه تصاحبه الطيور عالمة أن غذاءها من قتلاه، فتأكل أكباد الفرسان الشجعان، لطالما سارع الفرسان المدرّعين فاقتلعهم عن خيولهم بسرعة مدهشة بحيث لم يشعروا بما حلّ بهم، فأصبحوا من الهالكين.

(٥) وكثيراً ما اقتحم حومة الموت يود قتل الأعداء بقلب صامد، ولكم رجع منتصراً انتصاراً باهراً زاهياً بما فعل.

يـا عَـبْـلَ! لَـوْ عـايَـنْـتِ فـعـلـي فـي الـعِـدَا
مـن كُـلّ شِـلْـوٍ بـالـتّـرَابِ مُـعَـفَّـرِ[١]
وَالـخَـيْـلُ فـي وَسْـطِ الـمَـضـيـقِ تَـبـادَرَتْ
نَـحْـوِي كـمِـثْـلِ الـعـارِضِ الـمُـتَـفَـجِّـرِ[٢]
مـن كُـلّ أدْهَـمَ كـالـرّيـاحِ إذا جَـرَى
أوْ أشْـهَـبٍ عـالـي الـمَـطـا أوْ أشْـقَـرِ[٣]
فَـصَـرَخْـتُ فـيـهـم صَـرْخَـةً عَـبْـسِـيّـةً
كـالـرّعْـدِ تَـدْوِي فـي قُـلـوبِ الـعـسـكَـرِ[٤]
وَعَـطَـفْـتُ نَـحـوَهُـمُ وَصُـلْـتُ عـلَـيْـهـمُ
وَصَـدَمْـتُ مَـوْكِـبَـهـمْ بـصَـدرِ الأبْـجَـرِ[٥]
وَطَـرَحْـتُـهُـمْ فَـوْقَ الـصّـعـيـدِ كـأنّـهُـمْ
أعْـجـازُ نـخْـلٍ فـي حـضـيـضِ الـمَـحْـجـرِ[٦]
وَدِمـاؤهُـمْ فَـوْقَ الـدّرُوعِ تَـخَـضّـبَـتْ
مـنـهـا فَـصَـارَتْ كـالـعَـقـيـقِ الأحْـمَـرِ[٧]

---

(١)، (٢) الشلو: العضو. يخاطب الشاعر عبلة طالباً منها أن ترى أفعاله في أعداء بني عبس، فإذا بهم مبعثرون في أرض المعركة بلا انتظام اختلطت أجسامهم وانتشرت أشلاؤهم، والخيل تتدافع فيتضايق عليها المضيق تقصد مقاتلة البطل كأنها عارض ملئ بسيل عارم لا يبقي ولا يذر.

(٣)، (٤) المطا: الظهر. إنها جياد سوداء الجلود تجري جريان الرياح العاتية أو جياد بيضاء أو شقراء عالية الظهور، فاستقبلها الشاعر بصرخة عبسية فوقعت على العسكر وقوع الصاعقة فمزّقتهم قبل الالتحام.

(٥) مال الشاعر عليهم ميلة عظيمة فصدم جمعهم وفرّقهم بصدر فرسه الأبجر.

(٦)، (٧) أعجاز النخل: أصولها. مفردها عجز. الحضيض: المنخفض الثابت =

وَلَـرُبّـمَـا عَـثَـرَ الـجَـوَادُ بـفَـارِسٍ،
وَيَـخَـالُ أنّ جَـوَادَهُ لَـمْ يَـعْـثُـرِ[١]

لون أسود وخصائل بيض

[الطويل]

دهـتـني صُـرُوفُ الـدهـرِ وَانـتـشـبَ الـغـدْرُ
وَمن ذا الذي في الناس يصْفو له الدهرُ[٢]؟
وَكـمْ طَـرَقَـتْـنـي نَـكْـبَـةٌ بَـعـد نَـكـبَـةٍ
فَـفَـرّجـتُـهـا عَـنـي وَمـا مَـسَّـنـي ضُـرُّ[٣]
وَلَـوْلا سِـنـانـي وَالـحُـسـامُ وَهِـمّـتـي
لَـمـا ذُكـرَتْ عَـبْـسٌ وَلا نـالـهـا فَـخْـرُ[٤]

= من الأرض. المحجر: المكان الكثير الأحجار. مزّق الشاعر جموعهم وطرحهم فوق الأرض لا حِرَاك فيهم كأنهم أعجاز نخل خاوية، فاختلطت أجسادهم بأحجار الأرض المنخفضة، ودماؤهم غطّت دروعهم فلم تحمهم أو تمنع عنهم أقدارهم المشؤومة؛ فبدت كالعقيق الأرجواني.

(١) ومن المحتمل أن جواداً قد عثر بفارسه وهو لا يدري أن جواده قد تخطّاه لأنه أصبح في عِداد الأموات، لا يُحسّ ولا يشعر.

(٢)، (٣) انتشب: اعتلق. صروف الدهر: مصائبه. ينعى الشاعر على الدهر المصائب التي تواجهه في حياته، وقد اشتدّت المكائد الغادرة، وليس مستغرباً ما يحدث له؛ فالبشر جميعاً معرّضون لمثل هذه الأحداث، ولا تصفو الأيام لأحد منهم. ولطالما ألمّت به المكاره المتوالية وقد استطاع أن يتغلّب عليها ولم ينله مكروه.

(٤) إن من أسباب أمجاد بني عبس ما قدمه الشاعر من تضحيات بفضل شجاعته وحسن بلائه في الحروب، فمن أسباب ذلك رمحه وسيفه وعزمه الذي لا يلين.